

شركات الاستخبارات فى زمن الحرب

وصل كل من « كار » و « إيلين داجيت » و « بوسلى » إلى ستوكهولم فى يونيه ١٩٤١ إلى حالة من الارتباك والتشوش . واستعرض « كار » ثقته العريضة فى النفس باعتباره ضابطاً لجهاز مخابرات الدولة البريطانية لمدة عشرين عاماً من الخبرة الواسعة ، فى البلاد الاسكندنافية ، وصار يتصرف على النحو الذى يجبر أئداده وزملاءه على الاحترام .

غير أن الرئيس الأقليمى المقيم للمخابرات البريطانية فى محطة ستوكهولم . وهو المستر « جون بنشر مارتين » كان مراوفاً فى معاملاته مع الأقران كانت هيئة الرجال العاملين مع مارتين والذين يتخذون من ستوكهولم مقراً لهم ، وبخاصة فى مدينة « برجر جارلجاتان » يبلغون الخمسة من الرجال الأشداء وصار عددهم الآن زائداً ثلاثة ضباط جدد .

وأضحت العاصمة السويدية إحدى المواقع الاستراتيجية لأجهزة المخابرات البريطانية السرية لرصد ومراقبة الأنشطة الألمانية الدبلوماسية والجاسوسية ، وجمع الاستخبارات واختراق وترشيح وتمشيط العملاء المتحالفين (التابعين للدول المتخلفة) سواء الداخلىين والخارجين من أوروبا المحتلة .

لم يرحب مارتين بأى تطفل أو تدخل فى سلطاته ، وبخاصة من أولئك الذين هم على شاكلة المستر « كار » الذين كانت سمعتهم داخل المخابرات البريطانية سمعة طيبة كخبير فى روسيا السوفيتية وكرجل معادى للغاية للشيوعية . وذهب « مارتين » إلى أن خبرته لم تتناسب مع الواقع الجديد حيث أن الهدف الأساسى والخاص للمخابرات البريطانية أضحى ألمانيا .

وأعرب عن شكوكه من أن « كار » سوف يعتبر قبول روسيا السوفيتية كحليف لبريطانيا أمراً شاقاً وعسير الاحتمال . وفي هذه الحالة ، تقرر أن ينتقل « كار » إلى السفارة البريطانية ليتولى منصب السكرتير الأول ، وهو ستار يستطيع تحته أن يواصل العمل كرئيس لمحنة فنلندا ويجمع المعلومات عن عدو بريطانيا الجديد .

وكان السفير البريطاني واسمه فيكتور ماليت ينتمى إلى مدرسة الدبلوماسيين الذين يعتبرون الجاسوسية خطراً ينبغى التعامل معه بكل حذر واحتراس كما كان ينظر إلى مارتين على وجه الخصوص نظرة الاحتقار والازدراء .

ومنذ عام ١٩٤٠ ، كان « ماليت » يتألم من قصر جميع عمليات الاستخبارات البريطانية في السويد وبخاصة تلك التى ينفذها الجهاز التنفيذى للعمليات الخاصة ، وهو جهاز كان قد تم إنشاؤه حديثاً . وكان حماس تشرشل لهذا الجهاز يعكس عواطفه القديمة لشن عمليات وأنشطة خفية في روسيا البلشفية إلا أن « ماليت » بكرهيته عكس العداء الكبير في داخل « وايت هول » بين الجهاز الجديد والمخابرات البريطانية السرية .

ولقد كانت الجرائم وعدم الحرص والتخبط والارتباك قد أدت إلى القبض على عملاء الجهاز التنفيذى للعمليات الخاصة في السويد ، وهو الأمر الذى حث « ماليت » على إعاقة كافة المحاولات المبذولة لإعادة بناء المنظمة . وقالت السفارة : إن السفير لم يكن ليوافق على استخدامها قاعدة للأنشطة التخريبية . وأصر على إخطاره وإبلاغه بكل اتصال بين الوكالة البريطانية وأى سويدى على استعداد للمساعدة والعمل معهم لصالح المجهود الحربى للحلفاء .

وأبدى السفير تسامحه إزاء المستر « كار » ليس لأنه كان لاعباً ماهراً في التنس ، ولكن أيضاً كان قريب النظرة من التصرف تصرف الساسة ، كما أن له علاقاته الدبلوماسية والسياسية الجيدة مع كبار الساسة السويديين ورئيس المخابرات السويدية . كما كان « ماليت » لغزاً محيراً وأحجبة بالنسبة إلى البعثة الأمريكية في السويد .

وتسامح البريطانيون إزاء التعاون العسكرى الشامل بين السويد وألمانيا إلى درجة أن البعض صار مدفوعاً للاعتقاد بأن « ماليت » أصبح مؤيداً ومناصرراً للسويد عن السويديين أنفسهم وتواصلت للسويد التقارير السنوية عن مائة مليون طن من الصلب وملايين الرولمان ، بل والعتاد التى جمعها الألمان من أجل صيانة ودعم عجلة

وما كينة الحرب الألمانية . أما الأمريكان منذ كانوا ينظرون إلى ذلك على أنه تحالف بين القوى الأوروبية من أجل القضاء على الشيوعيين . إلا أن « كار » لم ير في ذلك أى شيء غريب بل اعتبر هذا أمراً طبيعياً .

كانت الحياة لسائر ضباط المخابرات البريطانية في ستكهولم على ذمة الحرب ، حياة رغد ورفاهية بالمقارنة بما كان يحدث في لندن ، إلا أن السيد « كار » على وجه الخصوص تحقق من المنافع والفوائد التي يجنيها أقرانه . وكانت المخاطر الوحيدة التي يتعرض هي الرحلة السنوية إلى بريطانيا لرؤية أهله وأسرته هناك ، حينما طار عبر بحر الشمال على ظهر طائرة قاذفة من طراز « موسكيتو » .

وفي ستوكهولم ، صار قلق « كار » بشأن الأمن والسلامة ، هي التي كانت فيما سلف أمراً معروفاً فقط لأولئك القلة ضباط المخابرات السرية الذين عملوا في هلسنى ، مروا بها أثناء فترة خدمتهم بالعمل الاستخبارى ، صار هذا القلق موضع الحديث بين الدوائر الواسعة للبريطانيين هناك .

وكان يوصى المجندين الجدد في العمل الجاسوسى إبان أزمة الحرب قائلاً : « إذا كنت تحمل أوراقاً سرية فيتعين عليك أن تثبتها بدبوس في جيوبك السرية الداخلية » . وكانت هذه التعليمات والنصائح تتم أحياناً على موائد الشراب والطعام في نهاية يوم من العمل الصباحى وبخاصة لضباط مراقبة جوازات السفر .

كما كانت حكاياتهم تخالطها وتشوبها في الغالب الروايات الملونة المحببة من كيفية تجنيد العملاء ، إذ كان يقول مثلاً « ولقد أخبرت « هارى » وأوصيته بأن يصنع كاما « شىء يوضع في الفم لمنعه من الكلام » في فمه حينما يتوجه إلى الفراش ، ليمنع نفسه من كشف الأسرار أثناء نومه » وهكذا يتصايح السامعون بالضحك والقهقهة .

ولقد تم تجنيد المستر « بيتر فولك » ، وهو أحد نظار مدرسة سابق في منطقة « رجبى » عام ١٩٤٣ في شهر مارس منه للعمل في فرع المخابرات المضادة ، ووقع عمله في « القسم فى » وكان منصبه الرسمى هو مساعد ضابط مراقبة جوازات سفر فى ستوكهولم . وكان المستر « فولك » على وجه الخصوص تجتذبه للغاية الحكايات المرحية ويستهو به سماعها حتى أنه صار مولعاً بها .

لم يكن « فولك » يتمتع بالطموح كضابط مخابرات ، بل كان قلبه خالياً من الاحقاد وبدأ فى فحص مصادر المستر « كار » باستقلالية ، اعتقاداً منه بأنهم معصومون من

الخطأ . غير أنه سرعان ما أصابه التحرر من الوهم فصار وجهاً لوجه مع الحقيقة . واكتشف أن « كار » يعتمد على زمرة من الصحفيين البريطانيين والفنلنديين الذين كانوا يقدمون للمستتر « كار » المعلومات فيعيد كتابتها ثم يرسل بها إلى لندن مكودة ومرموزة بالشفرة .

فكان المستر « أوسيان جولدننج » المراسل المقيم لصحيفة « ديلي تليغراف » يزدو المستر « كار » بالمعلومات على البحارة السويديين الذين كان يقابلهم بصفة دورية في البارات وميناء « جوتنبرج » ، كما استفاد من خبراته كمراسل حربي في الحرب الألمانية الروسية . وذلك في وقت لم تستطع فيه البعثات الأمريكية ولا البريطانية في موسكو الحصول على معلومات موثوقة من الحكومة السوفيتية بشأن مسار الحرب .

وسرعان ما صار « فولك » حيران العقل مفعماً بالشكوك في صحة مصادر « جولدننج » . إذ اكتشف أن ذلك الصحفي كان يستمع بصفة دورية إلى هيئة الإذاعة البريطانية وإذاعاتها ونشراتها الدولية ، ثم بعد ذلك ينظر في خريطة كبرى عن روسيا معلقة على حائط غرفة نومه ، ومكتب التقارير حول تحركات الجيش الأحمر مرصعة بأسماء قادة الجيوش الروسية مكتوبة قبل نشوب الحرب . كان ذلك أمراً غير ضار إلا أنه أثار التساؤلات حول دقة المستر « كار » .

كما اكتشف المستر كار أثناء مناقشاتهم الأسبوعية للمستتر « فولك » أن أحد المصادر المهمة للمعلومات هو المدير السابق للمخابرات العسكرية وكان ينتمي بالمولد إلى جمهورية أستونيا المطلة على البحر البلطي ، واسمه الكولونيل « فيلم سارسين » ، وأحد مساعديه واسمه « ريتشارد ماسينج » . وكان كلاهما يخدم في الجيش الألماني لاصطياد الفلاحين الشيوعيين وإرسال الرسائل من أستونيا إلى ستوكهولم عن الموقف في روسيا المحتلة أو بخاصة الجزء الواقع تحت الاحتلال الألماني .

ويقول « كار » : إن أهل أستونيا كانوا يقدمون المعلومات إلى أهل السويد ثم يتم إرسالها إلى أجهزة الاستخبارات البريطانية . وكانت هذه التقارير لسببين اثنين يتم توكيدها وإرسالها إلى لندن ، لتلقى الاحترام بعد ذلك وعظيم التقدير . ففي عام ١٩٤٣ ، حصل « فولك » على معلومات من الملحق الجوي الألماني في ستوكهولم وهو « كارل هاينز كريمر » بعد تجنيده عميلاً لدى المخابرات البريطانية .

والذى أدهش « فولك » أنه وجد أن نفس المعلومات يقدمها المستر « سارسين » إلى « كريمير » وأنها كانت في أحسن الأحوال غير جديرة بالاعتماد عليها . وامتنع « فولك » عن الإفشاء بما يعتمل في صدره من أسرار عن المستر « كار » ورؤسائه .

تلك كانت الأحوال والظروف السائدة في عام ١٩٤٤ حينما شرع « كار » في إقامة ما كان يأمل في أن يصبح انقلاباً عظيماً وأكبر أعماله قاطبة ، ألا وهو الاختراق الفعال من جانب العملاء البريطانيين للاتحاد السوفيتى وبخاصة روسيا عن طريق بلدان البحر البلطى .. وانطلق يحاول تنفيذ المهمة بكل نشاط وإخلاص ودقة ، واحتراساً منه وعملاً بتوجهاته في التكتم الشديد ، لم يفض بالأسرار إلى المستر « فولك » .

كما كان يعتمد على عملاء ينتمون بجنسياتهم إلى القوميات التابعة لبلدان البحر البلطى الذين كانوا قبل الحرب مصادر هامة لأجهزة الاستخبارات البريطانية في « ريجا » و « تالين » ، وهم الذين كانوا يأملون في عام ١٩٤٤ إعادة تأسيس بلادهم واستعادة استقلالها في أعقاب الصراع .

على أية حال ، عندما تدبر المستر « كار » السيارات البريطانية إزاء دول البحر البلطى منذ عام ١٩٣٩ ، اقترح التعاون القائم على مبادئ تخلى عنها سراً رؤساؤه وسادته في لندن .

وعلى مدار التاريخ ، كانت جمهوريات البحر البلطى الثلاث - وكلها عبارة عن مجتمعات ريفية لا تزيد مساحتها بحال من الأحوال عن هولندا أو سويسرا - ضحايا للغزوات المتكررة والاستعمار من جانب الجيوش البروسيه ، والدانماركية والسويدية والروسية . وبرغم كل الخطوب والمصائب التى توالى على هذه الدويلات الثلاث إلا أنها لم تفقد أبداً قومياتها أو لغاتها أو دياناتها أو هوياتها الثقافية المختلفة عن بعضها البعض ، غير أنها عجزت بمفردها أن تحل مشكلة مصيرها التاريخى المشترك .

وقع أول احتلال لهذه البلدان في القرن الثانى عشر من جانب فرسان التيتونيك « أو الجرمان القدماء » . وفي عام ١٤١٠ استطاعت « ليتوانيا » التحرير بمساعدة بولندا ، وحدث في المائة عام التالية على ذلك أنها تعرضت تدريجياً إلى التحول إلى الصبغة البولندية ، وتقاوم الروس ، في حين أن السويد احتلت جمهورية «أستونيا » و « لاتفيا » .

وفي عام ١٧٢١ ، هزمت روسيا بنجاح السيد في الحرب واحتلت على نحو تدريجي وتقدمى الجمهوريات أو الدويلات الثلاث . إلا أن تكاملهم مع روسيا من جانب القياصرة والأباطرة الروس أسرع وعجل بتحررهم ، وشعورهم بقومياتهم المتميزة . ولقد كانت مساندة بريطانيا لاستقلالهم عام ١٩١٨ يرجع لسبب المصلحة المباشرة أصلاً : بهدف تشييد كوردون صحى ضد الشيوعيين وحماية الاستثمارات الضخمة المتراكمة إبان العصر القيصرى عن طريق البنوك البريطانية والتجار الانجليز .

وبعد ذلك بعشرين عاماً ، حينما ضاعت الاستثمارات إلى الأبد وصارت بريطانيا أكثر اهتماماً بالتصدى للنازية وليس الشيوعية ، ترددت وزارة الخارجية البريطانية أثناء نظرها المطالب الروسية عام ١٩٣٩ بإعادة ضم الجمهوريات أو الدويلات الثلاث .

وجاءت تقارير دقيقة من شهود العيان في « كييف » عن مقتل ٣٠,٠٠٠ فرد في « بابى بار » في غضون يومين اثنين في شهر سبتمبر ١٩٤١ . ولقد وضعها فيكتور كافينديش بينتزك بأنها « نواتج الخيال السلافي » . ولقد حكم مبدأ المصلحة الذاتية الذى اتبعته وزارة الخارجية البريطانية ، اعتبارات النظر في مصير التعهدات التى قطعتها على نفسها للدول المطلة على البحر البلطى .

وفي أبيل ١٩٤١ ، حينما كانت بريطانيا تقاتل النازيين بمفردها ، فإن الفشل البريطانى في التضحية بالدول البلطية من أجل التبادل بعقد معاهدة مع روسيا ، بدا كما لو كان فرصة مضيعة . ولقد كتب « سار جنت » في أعقاب حلف « مولوتوف - ريببنتروب » وقبل الغزو الألمانى لروسيا ، إلى زملائه نادماً على أن هذا التنازل لم يتم إبرامه في عام ١٩٣٩ .

وقال : « لقد أخفقنا في جعل هذه التضحية بالمبادئ أمراً واقعياً ، ولذلك فقد دفعنا الثمن عقاباً على هذا » . وقال إنه لو قدر أن تعود الفرصة مرة ثانية ، فإنه سيتم لا محالة التضحية بالمبادئ . وبعد ذلك بأربعة أشهر ، حينما تقابل تشرشل ، ورزفلت ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية على ظهر سفينة « برنيس أوف ويلز » الراسية في خليج « بلاسينتيا » ، في (نيوفونلاند) ، ثم تجاهل براحمانية « سار جنيت » .

وعلى الرغم من أن الحكومة كانت لا تزال محايدة من الناحية الرسمية إلا أن الرئيس أصر على أنه لن يتسامح مع أى تبادلات خاصة بالأراضى السيادية . ومنذ ذلك

الحين أى منذ الضم السوفيتى « أدانت الحكومة الأمريكية « الأنشطة النهبية والسلبية ،
التي جردت دويلات البحر البلطيقى من استقلالها .

وفى أكتوبر عام ١٩٤٠ ، أكد الرئيس استعراضياً للمجلس الأمريكى الليتوانى الذى
مثل مليون ليتوانى يعيشون فى أمريكا ، بأن استقلال دولتهم لم تضع أو تفقد ، بل «
إنها وضعت جانباً بصفة مؤقتة » . ولسوف يأتى الوقت الذى تستطيع فيه ليتوانيا
التحرر مرة ثانية . ولسوف يحدث هذا بأسرع مما تتوقعون .

ولما كان الرئيسان قد انشغلا بالحرب الضروس ، فإن القليل من الاهتمام هو الذى
كرس للأحداث التى أعقبت الضم السوفيتى لهذه الأراضى ، والذى حدث هو أن ابتلاع
الدويلات الثلاث فى بطن روسيا بدأ فوراً فى أعقاب إبرام معاهدة « مولوتوف -
ريبينتروف » .

ولم يشعر الكرملن سوى ناقلاً القليل من العطف والرحمة لأولئك قطعاً
استمرارية مائتى عام من الحكم القيصرى . إذ تم دعوة وزراء الدويلات الثلاث لتوقيع
« اتفاقية دفاع مشترك ومساعدات مشتركة » مع ستالين من شأنها أن تبيع للسوفيت
أن يقيموا القواعد العسكرية على أراضيه من أجل ضمان استقلالها . وحيث أن البديل
كان الحرب ، فإن الثلاثة جميعهم وافقوا على مضض على أمل أن يجدوا مخرجاً فيما
بعد .

وصانوا علاقاتهم الواهية مع موسكو حتى تسنى للألمان شن الغزو ضد فرنسا
فى مايو ١٩٤٠ . وفى نفس الأسبوع ، تم استدعاء الزعماء الثلاثة مرة ثانية إلى موسكو
حيث اتهمهم « مولوتوف » بانتهاك « اتفاقيات الدفاع المشترك » انتهاكاً غادراً للغاية ،
وأنهم صدرت إليهم الأوامر بتشكيل حكومات متعاطفة مع الشيوعية .

وبحلول ١٨ يونيه ، صار الجيش الأحمر والأحزاب الشيوعية المحلية مسيطرة
سيطرة تامة على المنطقة . وتم تحويل المنطقة إلى الزى السوفيتى وطبعها بالطابع
السوفيتى على نحو سريع للغاية طالما أنه قد تقرر أن تنضم الدويلات الصغيرة إلى
« الأسر المجيدة للاتحاد السوفيتى » . واختفت برلماناتها ، وتحولت عملاتها إلى الروبل
الروسى ، وتم حظر الكتب التى اعتبروها غير مناسبة أو لائقة ، وتم تحويل ولاءات
الصحف ، وتم أسر والاستحواذ على المصانع والمطاعم والأعمال التجارية والمشروعات ،

ونقل ملكيتها إلى الدولة . والأسوأ من كل شيء أنه تم تحويل المزارع إلى مزارع
جماعية .

كان ذلك بمثابة التحول السريع نحو المبادئ الشيوعية والستالينية وهو ماتم عبر
المنطقة كلها أثناء ليلة ١١ - ١٢ يوليه من عام ١٩٤٠ . وشرعت السلطات في مدهامة
البيوت ليلاً وأسر أفرادها إلى حيث لم يرهم أهلهم بعد ذلك أبداً . وكان الضحايا هم
أولئك الذين تحدوا القضية الوطنية ، وسرعان ماتبعهم المنفيون من الروس البيض
وأولئك الذين يعملون بالجيش والكنيسة والطبقات المتوسطة الذين كانوا خصوصاً
مشكوكاً في ولائهم للسوفيت .

وبعد ذلك بإحدى عشر شهراً ، في ليلة ١٢ - ١٣ يونيه من عام ١٩٤١ ، ضرب
ستالين ضربته القاصمة ، حيث تم إلقاء القبض على مائة ألف رجل وامرأة وطفل
وحشدوا في عربات السكك الحديدية وتم شحنهم إلى سيبيريا . وفي مناخ الرعب الذي
أمسك بالمنطقة في الأسبوع التالي ، جلست آلاف العائلات خائفة ذليلة في بيوتها ، وقد
حزمت حقائبها بجوار الأبواب في انتظار وصول فرق القبض والموجة الثانية من
الترحيلات .

وتم إعداد القوائم وانتظرت القطارات للمرة الثانية في أماكنها حينما - زحفت ثلاثة
ملايين من الجنود الألمانية في ٢٢ يونيه تتقدم الغزو الألماني لروسيا . وفي غضون أيام
كان الـ « فيرماخت » قد قطع مسافة كبرى في المنطقة الواقعة في نطاق أراضي البحر
البلطى وعندها تقهقر وفر الجيش الأحمر ناحية الشرق .

وقد أدى التحرر غير المتوقع والمفاجيء من الإرهاب الستاليني إلى موجة عارمة من
العرفان بالجميل صوب الغزاة بسبب تخلصهم من الشر الفظيع وسوء المصير . وفي
ليتوانيا ، ثار الجيش القومي ضد الشيوعيين المتقهقرين وأعلنوا إقامة حكومة وطنية
مؤقتة ، أما المتمردون في « كونساس » فقد سيطروا على المدينة من الروس قبل وصول
الوحدات الألمانية الأولى .

وفي لاتفيا واستونيا لم يكن ثمة قتال إلا أن زعماءهما كانوا يتعشمون في استعادة
الألمان للاستقلال . ولهذا السبب فقد وجد الألمان ترحيباً بهم كغزاة بسبب تخلصهم
أهل البلاد من ربقة الحكم الشيوعي الدكتاتوري الدموي . إلا أنه لسوء حظ الشعوب

المطلة على البحر البلطى التى تنتمى لدويلات البحر البلطى ، فإن هتلر كان يعتبرهم أقل وأدنى من الناحية العرقية ، وأن الاحتلال الألمانى سيكون شبيهاً بالسوفيتى .

وبذلك سوف تتعرض دولهم للدمار ، وبعد وقوع الترحيلات الجماعية ، سوف يصبح السكان الجدد من الألمان . وبدا الطفيان الجديد لفترة مؤقتة نعيماً بالمقارنة بسلفه ، وهكذا فإن الذى استحث السير « اورمى سارجينى » هو الصورة الذهبية للترحيب البلطى بالنازيين ، ليعرب عن ندمه أكثر فأكثر بسبب الفشل البريطانى فى التضحية بالمبادئ .

ووافق « روزفيلت وتشرشل » فى ١٢ أغسطس ١٩٤١ على إصدار إعلان هو الذى أصبح معروفاً فيما بعد باسم « ميثاق الأطلنطى » وكان التبرير بالتضحيات القادمة مستقبلاً — حسبما زعموا — هو استعادة الحرية والاستقلال ، ونكران أية تغييرات تتعلق بالسيادة على الأراضى تكون مناهضة لأمانى الشعوب المعينة ، واحترام الدولتين العظميين للحقوق السياسية للشعوب فى أن تختار حكوماتها الخاصة بها .

وصار مسئولوا وزارة الخارجية البريطانية يحتقرون أهل الدويلات البلطية — كما جاء فى نشرات هيئة الإذاعة البريطانية — بسبب ولائهم الواضح للنازيين ضد الروس ، ومن هنا جاء إهمال وتجاهل ماورد بنصوص « ميثاق الأطلنطى » .

وكانت أولى الفرص هى التى سنحت فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٤١ ، حينما اجتمع وزير الخارجية البريطانى مع ستالين فى موسكو لمناقشة بنود ونصوص التحالف . وأثناء الأشهر السابقة ، وبينما كانوا يعدون العدة لعلاقة جديدة مع موسكو ، أقنع التعاون الواضح من جانب الدويلات البلطية مع النازيين أقنع « ايدين » وكبار مسؤوليه بأن تقديم عرض بالاعتراف بضم روسيا الدويلات الثلاث سوف يفرى ستالين بعقد تحالفٍ أو حلف معهم .

وفى الواقع ، متى ما أصبح « ايدين » فى موسكو ، طالب الديكتاتور السوفيتى بالاعتراف البريطانى بالضم السوفيتى وإثبات النوايا البريطانية . أما ايدين الذى كان غير مدرك بالترحيلات الجماعية للشعوب البلطية إلى سيبيريا أبلغ تشرشل أنه اعتبر الاقتراح غير معقول إذا صاحبه استغناء يكون الروس بمقتضاه قادرين على التنظيم بطريقتهم الخاصة .

وساند المسئولون وجهات نظره حيث أن الاستقلال الخاص بالدويلات البلطية

كان على أية حال « عرضاً غير دائم » ولم يكن يساوى مقارنته بالتحالف . والذي أدهش ايدين ، أن تشرشل تحرك بوحى من ضميره الخاص وانتظاراً لمعارضة روزفيلت ، أصدر الفيتو ضد الفكرة .

أما وزير الخارجية الأمريكي « كورديل هال » فقد كتب إلى ايدين يقول : إن قبول المطالب السوفيتية من شأنها أن تدمر معنى إحدى القضايا الأكثر أهمية الخاصة بميثاق الأطلنطى وسوف تفضى إلى تفويض قوة الوثيقة من أساسها .

ولقد تبينت الأمور على نحو جلى بعد ذلك بعام واحد . حيث أنه في أبريل من عام ١٩٤٢ ، الذى كان متوقعا وصول « مولوتوف » فيه إلى لندن للتفاوض بشأن البنود النهائية الخاصة بمعاهدة رسمية مدتها عشرون عاماً ، أعد مجلس الوزراء نفسه لتجاهل تحذير « هال » وتقديم التنازل للسوفيت . غير أن اللحظة لم تتحول إلى الواقع . فلم يذكر « مولوتوف » الذى كان يخشى من أن يؤدي المطلب إلى إعاقة إبرام المعاهدة ، أى شىء من الضم . وبذلك أنقذ القدر وزارة الخارجية من مهانة عرض تقديم هذه التضحية .

وفي الأشهر التالية ، وافق « سومنز ويليس » بوزارة الخارجية الأمريكية على أنه ليس هناك أية مصلحة حيوية في معارضة اتحادهم مع روسيا ، وأصبح روزفيلت رجلاً برجماتيا على نحو يشعر بالبرودة .

وقال الرئيس الأمريكى روزفيلت لرئيس وزراء بريطانيا أنتونى ايدين إن الجيوش الروسية سوف تتمركز في الدويلات البلطية في زمن السقوط في ألمانيا ، ولن يستطيع أحد منا أن يستخدم القوة في إخراجها . ولهذا السبب ، حصل ايدين على موافقة مجلس الوزراء في أن أية تسوية سلمية أوروبية يجب أن تقوم على كل من مبادئ ميثاق الأطلنطى بشأن الاعتراف بحدود روسيا في ٢٢ يونية ١٩٤١ .

وكان الجيش الأحمر ، قد كسب المعركة الخاصة « بستالينجراد » وذلك بعد تضحية عظيمة وصارت النتيجة النهائية للحرب معلومة ومعروفة بل ومحدودة . وذهب روزفيلت — معترفاً بقوة السوفيت — إلا أن ثمة غرض ضئيل في الصدام مع ستالين بشأن مصير الدويلات البلطية . وسادت الروح العاطفية حينما اجتمع الرئيس الأمريكى مع نظيره الروسى في طهران في ١ ديسمبر ١٩٤٣ على انفراد .

واندهش ستالين من جراء الصراحة الأمريكية . وقال روزفيلت : « إن ما أرغب في شرحه لك يتعلق بالسياسات الأمريكية الداخلية . إذ أنه وفقاً لدستورنا يجب علينا خوض الانتخابات في عام ١٩٤٤ . ولا رغبة لي في خوضها غير أن استمرارية الحرب تحتم على البقاء ، إذ لا خيار لي في ذلك .

وأوما الديكتاتور السوفيتي برأسه معرباً عن تفهمه للمأزق ، الأمر الذي أسعد المسؤولين الأمريكيين الحاضرين . ومضى روزفيلت قائلاً : « ثمة عدد هائل يتراوح ما بين ستة إلى سبعة ملايين أمريكي من أصل بولندي » وإنى كرجل عملي وواقعي ، لا أريد أن أفقد أصواتهم . كما أنني أتفهم موقفكم بشأن تحريك حدود بولندا صوب الغرب ، إلا أنني بسبب الانتخابات ، لا أستطيع الخوض في أية مناقشات علنية حول الموضوع المثار حالياً . فجاء رد ستالين قصيراً ولكنه مهديء ومسكن : « الآن شرحت كل شيء وإننى لأتفهم موقفكم تماماً » .

واستطرد الرئيس الأمريكي يقول : « كما أن هناك الكثيرين من الناخبين اللتوانين واللاتينيين والاستونيين في داخل الولايات المتحدة . وإننى أتفهم جيداً أن الدويلات الثلاث كانت من الناحية التاريخية جزءاً من روسيا .. وإن ... » .

وهكذا استطاع روزفيلت حل أية مشكلة من الممكن أن ترد على ذهن ستالين وهو باسم الثغر هادئ الجدال رزين العقل . ثم قال مازحاً : « وحينما تعاود الجيوش السوفيتية احتلال تلك المناطق ، فإننى لأنوى خوض الحرب بشأن مستقبلها »

وهنا ضحك ستالين بينما استطرد روزفيلت قائلاً : « إلا أن القضية الكبرى داخل الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تتعلق بمسألة تنظيم استفتاء حول حق هذه الشعوب في تقرير مصيرها . ذلك أن الرأي العام العالمي سوف يطالب بإيضاح حول إرادة هذه الشعوب . وربما لا يتم ذلك فور الاحتلال السوفيتي ولكن في مرحلة أخرى » .

غير أن وجه ستالين الذي ظل ساكناً لحظة وبرهته من الزمان بدون أن يكشف أية عواطف ، سرعان ما تهلل مبتهجاً حينما أضاف روزفيلت قائلاً : « على الرغم من أنني واثق من أن الشعب هناك سوف يصوت للانضمام للاتحاد السوفيتي » .

وكشف رد ستالين مدى دقة روزفلت في التعامل مع شريكه ، وقال ستالين إن الجمهوريات الثلاث لم تتمتع بالحكم الذاتي تحت إمرة وسيادة الأباطرة القيصرية ، وكانت روسيا كذلك حليفة لكل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة . ولم يذكر أحد

على مدار المائتى عام مسألة الرأى العام ، وأفصح قائلاً : « إننى لأرى سبباً وجيهاً الآن فى إثارة هذه المسألة » .

فقال روزفيلت يوافقهُ فيما ذهب إليه : « الحق فى هذه المسألة هو أن العامة لم يعرفوا ولم يفهموا ، غير أن الأمر سيكون باعثاً على المساعدة والعون لى شخصياً إذا أصدر المارشال (ستالين) إعلاناً عاماً حول تنظيم أربعة انتخابات ، ذلك الإعلان الذى سبق أن أشرتُم إليه » .

فابتسم ستالين وصرح قائلاً : « سيكون هناك الكثير من الفرص من أجل التعبير عن إرادة الشعوب » وحل بذلك مأزق الانتخابات الأمريكية التى أزعجت روزفيلت . ولما تم للزعيمين إغلاق ملف الدويلات البلطية ، انتقلوا لمناقشة إنشاء منظمة أمم متحدة من شأنها أن تضمن مستقبل العالم فى الحرية والسلام .

وكانت النتيجة العملية الأولى هى أن سفراء الدويلات البلطية فى لندن كانوا تعرضوا للنزول بمرتبتهم إلى قاع القائمة الدبلوماسية . وهؤلاء الشعوب والمسؤولون القادمون من دويلات البحر البلطى لم يتعرضوا أبداً للمقاساة والمكابدة من جراء المهانة فى واشنطن .

وعلى الرغم من أن وسائل الإعلان البريطانية والأمريكية - التى داهنتها حكوماتهم قدمت صورة ذهنية إيجابية عن التحالف الثلاثى الكبير ، إلا أن الحقيقة هى الشكوك المتبادلة المواظبة التى لم يبدها من حين لآخر سوى النوايا الأصلية .

وفى طهران ، كان تشرشل مشغولاً خصوصاً بالمعاملة الخاصة التى لقيها وأشعرته بأنه يأتى فى المرتبة الثانية بعد الفارسين الكبيرين روزفيلت وستالين إذ على الرغم من الابتسامات أمام المصورين ، إلا أن رئيس الوزراء شعر عمداً بأنه تعرض للازدراء من جانب الرئيس روزفيلت أمام ستالين .

وبدا روزفيلت مهتماً بإقناع الزعيم الروسى بأن الانجلوساكون لم يعودوا تقوم لهم قائمة ، بينما بذل الزعيم الروسى جهده للتعجيل بانقسامات بين الحلفاء . وهكذا ألقى ونستون تشرشل نفسه معصوراً بين العملاقين ، وكان يحاول جاهداً أن يعزز من التحالف مع موسكو ، غير أنه ظل مشكوكاً فى أمره فى عيون السوفيت .

فهو على أية حال كان يجاهر علانية بمساندته لمحاولات الإطاحة بالبلاشفة قبل

ذلك بعشرين عاماً ، وتلك تركة لا يمكن نسيانها أو التكتّم عليها . وتشكك ستالين في صدق وأصالة حديث تشرشل على الرغم من أوامر رئيس الوزراء إلى رئيس جهاز المخابرات البريطانية السرية وهو « ستيوارت مينريس » عام ١٩٤١ ، بإيقاف كافة الأنشطة المعادية للاتحاد السوفيتي أو حتى قصم الصلات مع العملاء والمبلغين .

كانت شكوك ستالين لها ما يبررها تماماً . إذ كانت عواطف وتوجيهات المستر تشرشل قد انعكست رأساً على عقب وبعنف وشدة . ففي بعض المناسبات كان يلعب البلاشفة ، ثم بعدها حينما أزعجته الانتصارات الروسية ، جعل لعواطفه تتغلب على قناعاته القلبية واعتناقاته التي آمن بها مدى الحياة بأن الشيوعيين لا يمكن الوثوق منهم .

وفي طهران ، ثم بعد ذلك في مالطا ، كان يسعى للصدّاقة لأنه أعجب بستالين كعضو في نادي الزعماء . إلا أن مخاوفه من سياسة التوسع السوفيتي والعدوان والانحراف استفزته ليقوم بشن الهجمات الطائشة ضد البربرية التاريخية لروسيا أو الانخراط في الصمت .

ولقد علم « مينزيس » أن تشرشل يتعرض لتأثيرات العواطف المختلطة واعتبر أن جهاز المخابرات البريطانية السرية قد أوقف في عام ١٩٤٤ عملياته وأنشطته الخفية ضد الاتحاد السوفيتي . وكانت أسس المبادرة ترجع إلى سوء الثقة من جانب البلاشفة . وعبر عن ذلك ثلاثة رؤساء أركان حرب هم : السير « الآن بروك » والسير « تشارلز بورتال » والسير « أندرو كابنجهام » .

وفي صيف عام ١٩٤٣ ، وجه الرؤساء العسكريون الدعوة إلى مسئولى وزارة الخارجية البريطانية للشروع في المناقشات التي اقتضت على كبار القادة ، حول السياسة البريطانية على زمن السلم . وكان منبر اجتماعهم هو « لجنة التخطيط لما بعد العداوات » وفي أولى اجتماعاتهم ، استعرض الثلاثة السيناريوهات القائمة على افتراض أنه بعد هزيمة النازي سوف تصبح روسيا للمرة الثانية العدو الأول لبريطانيا . ولم يتفق ممثلوا وزارة الخارجية البريطانية بشأن حتمية العداء إلا أن المناقشات مع ذلك تواصلت . وبدأت تودداتهم تختفي في أوائل عام ١٩٤٤ . واقتنع رؤساء الأركان بأنه في أعقاب الحرب سيكون هناك موجّهات عسكرية مع روسيا في اليونان ، وتركيا ووسط أوروبا .

واقترح مسئولو وزارة الخارجية الذين أخذتهم الدهشة أن أية خلافات سوف يتم

تسويتها عن طريق المفاوضات . إلا أن هذا الأمر قد ألقى جانباً من جانب التحليل العسكري الإجماعي الذي قال بأن السوفيت أشرار ، ووصلت الخلافات ذروتها بعد سبعة أسابيع من الإبرار الأرضى فى يوم شن الهجوم بنهاية يولية من عام ١٩٤٤ .

وقدم رؤساء الأركان فى اجتماعهم باللجنة المذكورة سيناريو لما بعد الحرب كان بمثابة ابتعاد راديكال عن سياسة وزارة الخارجية . وقالوا : إن الولايات المتحدة سوف تعود إلى سياسة العزلة وأن الخيار الوحيد لبريطانيا لتجنب « خسران السلام » هو دراسة التحالف الإضافى مع ألمانيا ضد روسيا .

وعلى الرغم من أن التقييم السائد كان لا يزال يذهب إلى أن الحرب سوف تنتهى بحلول أعياى الكريسماس (أعياى الميلاد) ، فكان هذا الاقتراح اقتراحاً راديكالياً . ففى الماضى ، كان مسئولو وزارة الخارجية البريطانية يخضعون بصفة مؤقتة لوجهة النظر الكئيبة القائلة بأن الحرب مع روسيا ممكنة واردة مالم تكن حتمية ، ولكن النتائج العسكرية لم تكن عرضة للنقاش .

ورفض السوفيت مساندة الجيش البولندى الداخلى وانتفاضته داخل وارسو ، وهى التى تسببت فى آلاف من القتلى واكتشاف المقابر الجماعية فى غابات « كاتين » التى حوت الضباط البولنديين الذين قتلهم الروس . وكان هذا أمراً غير قابل للتبرير أمام أعين رؤساء الأركان ، وكان بمثابة المثير للعداء والخوف فى رأيهم .

وارتسمت خطوط المعارك بين الرؤساء الأركان ووزارة الخارجية بصفة رسمية عشية زيارة تشرشل إلى موسكو فى أكتوبر ١٩٤٤ حيث قسم رئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل ، والزعيم السوفيتى ستالين بجرة قلم أوروبا وفقاً لاتفاقية قائمة على النسبة المئوية .

وفى خضم أحد الاجتماعات المتوترة بين ايدين وسارجينت فى ٤ أكتوبر ، رفض رؤساء الأركان الثلاثة قبول أن ألمانيا هى العدو الممكن الوحيد لبريطانيا وكسب المناقشة بقوله بأن التخطيط للطوارئ فى الحرب مع روسيا يجب أن يستمر إلا أنه يقتصر على « دائرة ضيقة ومحدودة جداً » .

ووافق الرؤساء بناء على طلب « سارجنت » بأن مناقشاتهم وسجلاتهم سوف يتم إعطاؤها « معالجة أمنية خاصة » بسبب خوفه من أن شبح الدب « ربما يلقى بظلاله على الأوراق والوثائق . وكان مسئولو وزارة الخارجية البريطانية يتشككون أصلاً فى

وجود الجواسيس السوفيت في « وايت هول » لأن الأجهزة الحكومية على زمن الحرب تصبح أقل استعداداً إلى استبعاد الشيوعيين من العمل السرى .

وفي الواقع ، كانت أعداد وأعضاء الحزب الشيوعى معروفة بأنها وضعت في المناصب التى تمكنهم من الاطلاع على المعلومات والوصول إليها وبخاصة المعلومات ذات السرية العظمى ، وطالما أن كلا من المسئولين العسكريين ومسئولى وزارة الخارجية البريطانية صاروا يقترحون للمرة الثانية بأن روسيا هى العدو والتهديد المستقبلى الكامن ضد بريطانيا فكان من الطبيعى فى نوفمبر ١٩٤٤ بالنسبة للسير « ستيفارت مينزيس » أن يخطط لإعادة إقامة القسم رقم ٩ الا وهو القسم المناهض للاتحاد السوفيتى .

وتوقع تعيين « فيليكس كوجيل » رئيساً للقسم ، وقد كان قد أدار بنجاح القسم رقم ٥ ، وهو فرع المخابرات المناهضة (المضادة) . إلا أن مينزيس تعرض للإقناع بتعيين رئيس القسم « ايبيريا » التابع للمخابرات البريطانية وهو « هارولد كيم » « فيلبى » ليرأس على هذا القسم .

وطلب مينزيس من فيلبى أن يعيد بناء القدرات المضادة للجاسوسية داخل أجهزة الاستخبارات البريطانية للبحث عن العملاء السوفيت الذين يعملون فى الخارج إلا أنه فى إطار اجتماعاتهم الأولى ، كان « فيلبى » يسعى إلى موافقة « مينزيس » لتوسيع القسم رقم ٩ ومسئوليته ليشمل على الجاسوسية البريطانية داخل الاتحاد السوفيتى .

وفى ضوء مناقشات وزارة الخارجية مع رؤساء الأركان ، شعر مينزيس بالبغض والمقت ضد اقتراح « فيلبى » . وقال : إن جهاز المخابرات البريطانية السرية فى حاجة إلى بعث وإحياء مقدراته على جمع الاستخبارات والمعلومات داخل الاتحاد السوفيتى . وتلقى « فيلبى » موافقة رسمية فى فبراير عام ١٩٤٥ وشرع فى الاتصال بأولئك الضباط الذين تؤهلهم خبراتهم السابقة لتولى العمل والمسئوليات الجديدة فى هذا القسم الجديد . وكان من بينهم المستر « هارى كار » رجل مخابرات ستوكهولم .

ومنذ بداية العام ، قال المستر « كار » لـ « كولبى » : انه جمع هو و « بوسلى » معلومات استخبارية من دول البحر البلطى وأقام صلات لاسلكية مع المقاومة فى

لاتفيا : وقال « كار » في تقاريره : إن السويد تطورت إلى موقع مثالي لمراقبة الاتحاد السوفيتي بسبب التدفق المتزايد من اللاجئين القادمين من دول البحر البلطى .

وحتى عام ١٩٤٤ ، وصلت مجموعة هزيلة من هؤلاء اللاجئين ولكنهم لم يجدوا ترحيباً بهم لدى الاستقبال في ستوكهولم . وكانوا أصلاً قد فروا من الروس ثم بعد ذلك من الألمان . وفي عام ١٩٤٢ ، لم يعد أهل البلطيق مرتبكين بشأن ما إذا كان الألمان قد جاءوا محررين لهم أو فاتحين لبلادهم .

ولم تعد إليهم ممتلكاتهم التي صادرها الروس ، كما أن عملتهم الروسمية انخفضت قيمتها . فضلاً عن ذلك شرعوا في استئناف عمليات القبض والترحيل . وفي الوقت الذى تم فيه إرسال بعض قوميات تنتمى إلى بلدان البحر البلطيقى إلى ألمانيا للعمل فى المصانع وكتائب العمل ، ثم حشد النازيون حوالى ربع مليون يهودى من الذين وقعوا فى شرك الخطوط النازية ليتم إبادتهم .

إلا أن هذه المذابح لم تظهر فى المظاهرات والاحتجاجات القومية بشأن مصير أوطانهم ، وبخاصة فى التقارير المرسلة إلى « كار » وسائر عملاء استخبارات الحلفاء فى ستوكهولم . إذ كان جل اهتمامهم عام ١٩٤٤ هو وشوك إعادة الروس احتلال بلادهم من بلدان البحر البلطى .

ولقد حولت الحكومة السويدية ولاءها بعيداً عن الألمان وصارت تدين بالوفاء إلى الحلفاء ، وهو أمر عكس اهتمامها أساساً بمصالحها حيث أن التفوق الألمانى الذى كان أمراً لايشق له غبار أو ينازعه أحد قد عفى عليه الآن الدهر ، وذهبت قوة ألمانيا أدراج الرياح .

ولم تكن دول أوروبا الغربية ومنها فرنسا وبريطانيا تتوقع أن تتحول السويد على هذا النحو المثير للدهشة ، وبخاصة لو علمنا أن السويد كانت دولة مؤيدة للجنس الأرى ومعادية للشيوعية . وكان هذا أمراً ظاهراً ، وتبدى من خلال الخلافات التى صارت بين السويديين المؤيدين والمتعاطفين مع الحلفاء وأولئك المؤيدين والمتحالفين مع النازيين .

ولعل هذا الانقسام كان من الواضح بحيث يمكن ملاحظته ، إذ اكتشفت أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية أن ثمة انقسام بين أجهزة المخابرات السويدية التى تنقسم إلى قسمين كبيرين : الأول هو المخابرات العسكرية المعروفة باسم : « سفينسا

ميلتو جانست « والوكالة المدنية (المخابرات العامة) المسماة باسم « المانر ساكيرانست » .

ولم يخفف هذا الانقسام في عام ١٩٤٤ ، إلا أن الأولوية عند المخابرات السويدية أصبحت التقارب مع التوجهات والأهداف التي تعمل انطلاقاً منها كلاً من المخابرات البريطانية السرية ، والمخابرات الأمريكية التي كانت تعرف حتى ذلك الحين باسم « مكتب الخدمات الاستراتيجية » قبيل تأسيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة . واستهدفت كل هذه الأجهزة الاستخبارية اكتشاف اتجاه حركة الحرب عبر منطقة البحر البلطي .

وكان السويديون يخشون أولاً وقبل كل شيء من أن يكون الروس يزمعون تحرير الدانمارك والنرويج ثم غزو السويد كأمر محتمل . فاعتمدوا على العملاء كمصدر مثالي للمعلومات وهم الذين اخترقوا الدول البلطية . وفي عام ١٩٤٤ ، سمع « كار » أن كلاً من أجهزة المخابرات السويدية (العسكرية والمدنية) كانت تعد العدة للاختراق فكان أمراً طبيعياً أن تتلقى المخابرات البريطانية بعض المنافع والفوائد .

كان وجود المخابرات البريطانية في السويد يعتمد موافقة السويد حول مسألة أن أية عملية تقترحها الأجهزة الاستخبارية البريطانية لن تكون بمثابة الانتهاك لحياد الدولة المضيفة . ومن هنا كان لزاماً على المستر « كار » أن يفوز بالحظوة لدى المخابرات السويدية ، تماماً كما فعل من قبل في فنلندا . فكان من بين أفضل اتصالاته تلك التي أجراها مع السيد « اكي إيك » من جهاز الاستخبارات العسكرية السويدية .

وكان السيد « إيك » قد خطط قبلاً مؤامرة دقيقة للاختراقات . فاستطاع باستخدام أسطول صغير من الزوارق الصفري وبموافقة الحكومة السويدية أن يبدأ في عبور البحر البلطي في مهمات انتحارية ، من أجل جمع واستعادة اللاجئين . وكان معظم حالات الوصول خاصة بالمدينين الأبرياء الذين فروا للنجاة بأنفسهم وأرواحهم ، إلا أن البعض الآخر جاء إلى السويد سعياً إلى العون والمساعدة ، فضلاً عن أن هناك مجموعة عاشت في الغابات خوفاً من الترحيل .

كان معظم الأفراد يتشككون في أن يكون المستر « اكي إيك » متعاطفاً مع الألمان ، فقد كان يحبذ على وجه الخصوص أن يكون الضباط الألمان والجنود النازيون ومصادر الرايخ الثالث الألماني هي مصادره الاستخبارية . حيث كانت مميزاتهم والثقة

فيهم باعتبارهم أعداء للشيوعية وخبراتهم المكتسبة .. كلها ذات قيمة لاتقدر بمال .

ويرغم المعرفة بأن واجباتهم الأخيرة اشتملت على القيام بعمليات التعذيب والترحيل والإعدام ، إلا أن السلطات السويدية اعتبرت هؤلاء الضباط أبطالاً اضطلعوا بمهام وطنية ، وبأنهم تلقوا تفويضات لاغتيال وتصفية الخونة لأنهم ضحايا هم كانوا في الغالب « شيوعيين » .

وتم تشغيل بعضهم لدى وصولهم إلى السويد كموظفى أرشيف حكوميين وذلك ليتسنى فيما بعد منحهم الجنسية أو المال للهجرة إلى جنوب أمريكا . ونظم المستر « إيك » في صيف ١٩٤٤ أولى عملياته التى بلغت الستين ، ونقل العملاء التابعين له في زوارق الإنقاذ للقيام بمهام استكشافية وعمليات استطلاعية ذات مدى قصير .

وتم العهد بالمسئولية عن الاتصالات نيابة عن المخابرات البريطانية السرية مع المستر « إيك » إلى فريق المستر « كار » وبخاصة عضو هذا الفريق وهو الذى أطلق عليه اسم « إيكسندر ساندى ماكيبين » . وكان مولده في موسكو عام ١٨٩١ ، لأب ثرى يمتلك أحد الأسواق التجارية وكانت عائلته تعيش على مدار جيلين من الأمان في روسيا .

وكان « ماكيبين » شأنه في ذلك شأن المستر « كار » يتمتع بالتحدث بطلاقة للغة الروسية ، ويحب وطنه وكان يفرزه الثورة البلشفية . وفي السنوات التالية حينما انغمس في إرسال العملاء إلى روسيا ، كان يقص ويحكى مازحاً القصة الخاصة بكيفية صناعته لقبلة عام ١٩١٧ كان ينوى إلقاءها على مبنى الحزب الشيوعى ، ولكن لم يوقفه أحد سوى أبيه . الذى قال له حينذاك : « لاتنس أنك أصلاً سكوتلندى ، وأن مايفعله الروس لاشأن لك به » .

واستطاع « ماكيبين » أثناء سنوات الحرب أن يقيم لنفسه سمعة طيبة كتاجر شهير ومعروف في « تالين » ، وعلى الرغم من أنه لم يكن عميلاً أساسياً (كل الوقت) داخل أجهزة الاستخبارات البريطانية السرية ، إلا أنه كان جاسوساً موثقاً فيه يتحدث اللغة الاستونية ، والروسية والألمانية ، واستطاع بمساعدة « هلمى » زوجته الفنلندية أن يشىد شبكة واسعة من الجاسوسية بين أجهزة المخابرات الاستونية والعسكرية والسياسية .

وفي عام ١٩٣٩ هرب « ماكيبين » إلى هلسنكى ، وتخلّى عن أعماله وبيته وممتلكاته . ووصل وهو يمقت ويشمئز من البلاشفة أكثر من ذى قبل . ذلك أنه استمر

فترة من الزمن يورد المعلومات إلى « كار » وهي التي كان يحصل عليها من خلال حلقات الصلة والشخصيات الاستونية وبخاصة شبكة من البحارة أقامها دبلوماسي سابق وجاسوس بالمخابرات البريطانية هو « الكسندر فارما » إلا أنه في عام ١٩٤٠ ، عاد أخيراً إلى بريطانيا . وفي أواخر ١٩٤٣ ، وصل إلى ستوكهولم كضابط كامل المسئوليات في أجهزة الاستخبارات البريطانية ، وقد جاءت تكاليف لبناء شبكة من الجواسيس الذين ينتمون إلى قوميات بلطية ، وهي التي من المقرر لها أن تتوسع في روسيا نفسها فيما بعد .

وكان المستر « ولتر زيلينكاس » البالغ من العمر ٢١ عاماً وهو دبلوماسي صغير سابق ، كان حلقة الصلة بين المستر « ماكيبين » في استوكهولم مع ليتوانيا . تقابل الرجلان لأول مرة قبل اندلاع الحرب في السفارة الليتوانية في تالين .

ولم يكن المستر « زيلينكاس » ورئيسه « فيتوتاس جيليس » أية خط اتصالات مباشر مع ليتوانيا إلا أنهما كانا يتلقيان جمهرة من المعلومات من الكولونيل « كازيس سكيربا » ، الممثل الليتواني في برلين ، تلك المعلومات التي كانوا يعيدون تقديمها إلى « ماكيبين » .

ربما كانت مصداقية سكيربا موضعاً للتساؤلات أمام المستر « ماكيبين » إلا أن « زيلينكاس » طمأن الرجل البريطاني أن « سكيربا » ليس موالياً للنازي ، وإنما هو فحسب رجل معادي للروس .

كان الليتوانيون يجدون فخاراً ويتفاخرون بإحاقهم الفشل بألمانيا حينما أرادت إنشاء كتيبة ضاربة ، إلا أنهم كانوا يحذفون ذكر حقيقة أن حوالي ٢٠,٠٠٠ ليتواني قد انضموا إلى « الكتائب البوليسية » ، وكانت هذه الكتائب بالفعل عبارة عن فرق اغتيالات وجريمة تضطلع بتنفيذ الحل النهائي ، في حين أن الآخرين كانوا يحاربون مع الجماعات النظامية التي أطلق عليها اسم « فيرماخت » ، ضد الفلاحين الشيوعيين .

بدلاً من ذلك ، كانوا يمجدون فضائل الجنرال « بوفيلاس بليخافوس » الذي استطاع تجنيد ٣٠,٠٠٠ جندي للحرب ضد السوفيت ، وذلك بالاتفاق مع الألمان ، ثم سرعان ما أصدر أوامره بهجر القضية حينما نكث الألمان بوعودهم فان تلك القوة ستبقى جيشاً ليتوانياً ، ولن يتم دمجها في الجيش الألماني .

وفي خريف عام ١٩٤٤ ، علم المستر « ماكيبين » أن هذه القوة المدربة ماهي إلا دعامة جيش متزايد من الفلاحين المعادين للشيوعية سوف يجتذب مئات الليتوانيين ،

الذين سيفرون إلى الغابات استعداداً للقتال حتى الموت .

واقترح « زيلينكاس » أن أكثر حلفاء الغرب مصداقية في المنطقة هي منظمة تدعى « فليك » أو « اللجنة العليا لتحرير لتوانيا » . وشرح الدبلوماسى السابق الحقائق القائلة بأنه على الرغم من أن « فليك » كانت تتعاون مع الألمان ، إلا أن قيادتها وزعامتها كانت مناهضة للشيوعية .

ووجدت أجهزة الاستخبارات البريطانية أنه من الواجب إقامة حلقة اتصالات مع « فليك » هي التي سوف تنسق وتتزعم المقاومة حينما يصل الجيش الأحمر ، كان مرشح المستر « زيلينكاس » للمهمة هو « الجير داس فوكيتيس » ، أحد القوميين المعادين للألمان .

كان المستر « ماكيين » تواقاً إلى المساعدة إلا أنه كان يفتقد إلى المال . ومن هنا اتفق على أن يتودد « زيلينكاس » إلى ممثلى الاستخبارات الأمريكية المعروفة باسم « مكتب الخدمات الاستراتيجية » ، أما السفير الأمريكى فى ستوكهولم « هيرشيل جونسون » فقد كان ينظر إلى الأنشطة الاستخبارية على أنها « ممارسة شيطانية » ، وأعاق مثل نظيره البريطانى ضباط مكتب الخدمات الاستراتيجية كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

تألم عدد من الرجال من بينهم « ايفر أولسين » الذى كان يعمل رسمياً سكرتيراً مالياً فى السفارة ، وهو الذى كان عام ١٩٤٤ أيضاً قد تلقى إعاره للعمل ملحقاً خاصاً فى « هيئة لاجئى الحرب » .

أسس هذه الهيئة الرئيس روزفيلت لإنقاذ ضحايا الاضطهاد النازى الذين كانوا لايزالون يعيشون فى أوروبا . وكانت أساليب الهيئة هي إما بذل الضغوط الدبلوماسية أو اتخاذ العمل المباشر ، وكانت ميزانيتها تبلغ ربع مليون دولار ، وهو مبلغ ضخم فى ذلك الحين . واستأجر المستر « أولين » بالاتفاق مع الحكومة السويدية زوارق لعبور البحر البلطى من أجل إنقاذ المضطهدين .

وكان من بين نجاحاته الشهيرة هي إرسال « راوول والينبرج » إلى المجر حيث أنقذ السويدي آلاف اليهود . وأنقذ جهود « أولسين » ألف ومائتى شخص إلا أن محاولاته استخدام نفس الزوارق للتسلل وبث العملاء للاختراق ، فقد وقعت فى المحذور ، ذلك أن تعليمات الرئيس الأمريكى حرمت القيام بأية أنشطة من شأنها أن تجعل ستالين يعتبرها أنشطة معادية .

وفي عام ١٩٤٢ ، قال الرئيس روزفيلت للمستر « وليام دونوفان » مؤسس ومدير مكتب الخدمات الاستراتيجية : إن الاتحاد السوفيتي لا ينبغي أن يكون هدفاً للمخابرات من جانب الاستخبارات الأمريكية ، وبالتالي يجب إيقاف كافة العمليات . وفي العام التالي ، حاول « دونوفان » أن يقلب هذا الحظر ، إلا أنه على الرغم من تلقيه موافقة شفوية من أركان الحرب المشتركة كانت سياسة الرئيس هي القيام بإحداث التعاون الوثيق .

وبحلول ديسمبر ١٩٤٣ ، بلغت الأمور ذروتها بتوقيع اتفاقية على مستوى عال بين مكتب الخدمات الاستراتيجية والبوليس السرى السوفيتي المعروف باسم « إن - كيه - في - دي » لتبادل المعلومات والممثلين . وأوضحت مذكرة داخلية لمكتب الخدمات الاستراتيجية موقعة بتاريخ ٤ فبراير عام ١٩٤٤ بعنوان « المعلومات الاستخبارية المقدمة إلى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية » ، وأوضحت أن روسيا سوف تعطىها معلومات استخبارية ربما تكون ذات أصل منفرد بين معلومات مكتب الخدمات الاستراتيجية وربما كان من شأنها أن تسدى النفع الكبير لتلك البلاد أثناء انخراطها في الحرب ضد ألمانيا .

أما « ادجار هوفر » مدير مكتب الاستخبارات الفيدرالية فقد أعاق التبادل الخاص بهيئة العاملين ، في حين أن « دونوفان » أطاع الرئيس وقدم حوالى ١٥٠٠ صفحة من الأكواد السوفيتية التى حصلت عليها محطة مكتب الخدمات الاستراتيجية فى ستوكهولم من « رنيو هاللام » الرئيس السابق للمخابرات الفنلندية الذى كان فى المنفى بالسويد .

أما الهدية الأخرى التى قدمها روزفيلت إلى ستالين عام ١٩٤٤ ، فقد كانت عبارة عن دوسيه استخبارى ملئ بالمعلومات عن المقاومة فى لاتفيا ، وكان مكتب الخدمات فى ستوكهولم صنعه من واقع المقابلات الشخصية مع اللاجئيين . وعلى مدار عام ١٩٤٤ كان التدفق الاستخبارى يتم بصفة خاصة فى اتجاه واحد من الغرب إلى الشرق .

ووافق « أوسلين » بناء على طلب اثنين من الدبلوماسيين اللتوانيين هما « زيلينكاس » و « جيليس » على تمويل تسلل « الجيرداس فوكيتس » إلى الاتحاد السوفيتى وبخاصة المنطقة التى تسيطر عليها ألمانيا .

وبعد تلقيه المعلومات فى ربيع عام ١٩٤٤ ، هبط « فوكيتس » على شاطئ قريب

من « بالانجا » مزوداً بأوامر للاتصال مع أحد مشغلي أجهزة اللاسلكى « الراديو »
المدرين جيداً ، والذي كانت مهمته تقتصر على إجراء اتصالات الفلاحين الليتوانيين
بالسويد ، وتعليمهم كيفية عمل ذلك .

بعد ذلك بأسبوع قبض على « فوكيتس » وأرسل إلى معسكرات التعذيب الألمانية
المعروفة بمعسكرات التركيز في « ستاتوف » . وحتى نهاية الحرب ، لم يتم إجراء أية
عمليات إضافية في ليتوانيا .

كانت فرص الاستخبارات البريطانية السرية في « لاتفيا » أكثر تشجيعاً . وكان
حلقة الصلة بين جهاز المخابرات البريطانى فى لاتفيا هو الدكتور « فالديمارس
جينترس » الذى كان مصدراً هاماً من مصادر الاستخبارات السرية البريطانية فى
منطقة البحر البلطى وبالذات فى مدينة « ريجا » الساحلية . وذلك فى فترة ما قبل اندلاع
الحرب العالمية الثانية ، وحدث أن هرب عام ١٩٤٣ إلى السويد لينجو بحياته من
الألمان .

وزعم « جينترس » أن إحدى التنظيمات السرية القومية الكبرى واسمها « المجلس
المركزى فى لاتفيا » تم إنشاؤه فى لاتفيا بنهاية عام ١٩٤٢ وكان يقدم خدماته لجهاز
المخابرات السرية البريطانية . واشتمل أعضاؤه على « فينترس يتبفرس » و « برونو
كالنين » وكلاهما كانا معروفين بعدائهما للنازية ، وكان ذلك بمثابة الاعتبار المهم طالما
أن حوالى ٣٠,٠٠٠ رجل من « لاتفيا » قد تطوعوا للانضمام إلى فيلق « لاتفيا » المعروف
باسم فيلق « إس - إس » .

وأكد الجواسيس الموثوق فيهم أن ضباط « هيميلر » قد قاموا بحشد أتباعهم
للقيام بمذبحة ضد مجموعة كبيرة من متطوعى لاتفيا الذين كانوا على استعداد للحرب ،
وذلك فى الغابات القومية من « ريجا » وبلغ عدد المذبوحين عشرات الآلاف . وأن فرقة
عديدة من فرق الإعدام فى لاتفيا كانت تتجول فى أوروبا الشرقية لقتل ما لا يعد
ولا يحصى من المدنيين الأبرياء يومياً . لم يكن « جنترس » متورطاً فى هذه الفظائع .

بل كان يعرض تقديم حلقات الصلة القديمة التابعة للمخابرات السرية البريطانية
ويزودها بالمسجلات وأجهزة اللاسلكى وحلقات الصلة بالراديو مع لاتفيا ، وكلاهما
كانت ترسل بالتقارير عن الاحتلال الألمانى .

وقبل البريطانيين العرض الذى تقدم به وأرسلوا إليه ٥٠,٠٠٠ كرونه سويدية تم

دفعها بطريق غير مباشر توخياً للحذر من خلال ضابط بحرى سويدي ، هو الكابتن جوانسون . وكان هذا الضابط هو الصلة التي يتم عن طريقها تقديم التعليمات إليه واستقاء الاستخبارات والأسرار من الألمان ليتم بعد ذلك إرسالها إلى بريطانيا .

عبر « بيتر كليبتس » البحر البلطى إلى السويد في قارب صيد ، وكان أصلاً عميلاً استخبارياً ، وجلب معه معلومات حيوية : هى تكوين شبكة مقاومة جديدة قوامها ألف رجل في غابات « كورلاند » تحت قيادة الجنرال « جانيس كوريليس » وكان « كار » لايفهم عن الجنرال كوريليس وعمله السياسى إلا أنه كان معادياً لكل من النازية والشيوعية : الألمان والسوفيت .

وعاد « كليبتس » بمساعدة البريطانيين مستخدماً أحد الزوارق إلى لاتفيا . وكان مسافراً على نفس الزورق أحد الرجال الغرباء وهو « إروين هاسليمان » واستخدم اسماً مستعاراً هو « ليليا » . كان « ليليا » مكلفاً بتنظيم شبكة بريطانية في لاتفيا تقوم بكتابة التقارير حول الأنشطة السوفيتية في أعقاب الانسحاب الألمانى ، والقيام بقيادة وتزعم فريق مكون من عشرة رجال عبر الجبهة إلى داخل الأراضى التى يسيطر عليها السوفيت .

وابتهجاً بنجاحه ، أرسل « سالنيس » بتفاصيل الاتفاق إلى « ريجا » وبدأ في الاجتماعات الشهرية الدورية مع ممثلى الاستخبارات البريطانية ومكتب الخدمات الاستراتيجية الأمريكى (المخابرات الأمريكية على عهد الحرب العالمية الثانية) ، وقدمت التقارير إلى لندن وواشنطن حيث كانت تدمج مع الملخصات التى توزع على القيادات ذات التسلسل القيادى على كافة المستويات في كل من « داوننج ستريت » مقر رئاسة الوزراء البريطانية ، والمكتب البيضاوى ، مقر الرئاسة الفيدرالية الأمريكية .

كانت أجهزة الأمن الألمانية مهتمة اهتماماً خاصاً ومتزايداً بالمقاومة كوسيلة تقود إلى مراقبة النوايا البريطانية . وفي صيف ١٩٤٤ ، حينما تقدم الجيش الأحمر إلى بلدان ودويلات البحر البلطى الثلاث ، وتراجع الألمان آنذاك إلى بولندا ، تزايدت حدة هذه الاهتمامات .

كانت منطقة « كورلاند » في لاتفيا عبارة عن غابات كثيفة بطول الساحل المطل على البحر البلطى وتطورت إلى منطقة عسكرية كبرى لا يمتلكها سوى من يقيم عليها .

وبالرغم من أنها كانت تقع تحت السيطرة السوفيتية إلا أنها كانت مرتعاً للجماعات الكبرى من القوات والجنود المعاقين والباثسين ومنهم جنود تابعون للفيلق اللاتيفي المسمى باسم (إس - إس) و« جنود » فيرماخت » ، وقوميات تنتمي إلى دويلات البحر البلطي ، والطلاب وعمال المصانع والمزارعين ، وكل هؤلاء كانوا يخشون على حياتهم .

واشترت عائلات كثيرة تذاكر سفر بالقطارات إلى ألمانيا وهجروا بيوتهم إلى الأبد ، كما سافر الشباب باتجاه الغرب وهجروا مدارسهم وانضموا إلى الـ « فيرماخت » لحفر الخنادق المضادة للدبابات لحماية الجيش المتراجع ثم العمل بالسخرة في المصانع الألمانية .

أما هؤلاء ذوو القوة الجسدية أو الصحة من الرجال الذين مكثوا في ديارهم فقد كانوا يلقون مصيراً محتوماً ومعروفاً أثناء الصيف : ألا وهو الترحيل إلى سيبيريا كأعداء لروسيا والتجنيد في الجيش الأحمر لاستمرار الحرب . ولقد أدى هذا التصرف من جانب الشيوعيين إلى طرد المزيد والمزيد من الناس إلى الغابات والريف .

وكان من بين أولئك الذين أصابهم التقهقر الألماني مجموعة « كوريليس » وصدر الحكم عليهم ونفذت فيهم أحكام بالإعدام « بسبب اتهامهم بالاتصالات مع فيلق إس - إس » في لاتفيا . وهرب الآخرون إلى غابات « كورلاند » واختبأوا هناك بطول السواحل ، وكانوا يتصلون بأجهزة المخابرات السرية البريطانية عن طريق الراديو واللاسلكي وزوارق الصيد .

وجاء في رسائهم أن حوالي عشرة آلاف من الفلاحين يعيشون بطول النتوء الجبلي البارز من غابات كورلاند وذلك بجوار آلاف من القوات الألمانية الذين قطع الجيش الأحمر عليهم طرق العودة .

وبمضاهاة تقارير « زيلينكاس » عن وجود ثلاثين ألف فلاح على الأقل في غابات ليتوانيا ، وحوالي ١٠,٠٠٠ في استونيا ، بدت احتمالات وفرص الأنشطة أمام المخابرات السرية البريطانية .. بدت واعدة ومشجعة . أما وصفهم بأنهم « فلاحون » أو « أعضاء في المقاومة » ، ومعادلتهم بالفرنسيين العاملين تحت الأرض كان أمراً ملائماً لأنفسهم وللمتكفلين بهم ، إلا أن الوصف كان غير دقيق على الإطلاق .

على أية حال ، كل هؤلاء المشردين في البرية طالبوا بمساعدة وعون بريطانية للحصول على استقلال بلادهم عام ١٩١٨ واعتقدوا أن إذاعات هيئة الإذاعة البريطانية

الماضية حول ميثاق الاطلنطى ماكانت إلا ضمانات مؤكدة حول استقلالهم وإبعادهم عن قبضة الجيش الأحمر .

لم يصب الوهم أياً من عملاء أجهزة الاستخبارات العاملة في ستوكهولم ، أو آمالهم بأن الحزب سوف يستخدم قصارى جهده لاستعادة استقلال بلادهم ، بل على العكس بدأت تلك الأجهزة الثلاث المناقشات حول زيادة مساندتهم للفلاحين ، يصاحبها وعود حول المستقبل الأفضل .

وكان من بين هؤلاء القراء « برودواى » لتقارير المستر « كار » ، هو المستر « كيم فيلبى » الذى اكتشف وجود ثلاثة عوامل ذات أهمية قصوى : ألا وهى الحجم المقدر للجماعات الفلاحية ، والبسر الظاهر فى الاتصالات مع السويد ، ثم زرع العملاء فى داخل الأراضى السوفيتية .

وتذكر المستر « فيلبى » أن إحدى وأولى وكبرى حلقات اتصالاته فى روسيا كانت فى لاتفيا . وكان يعمل مراسلاً لصحيفة « التايمز » فى اسبانيا عام ١٩٢٧ ، وكانت حلقات الصلة بينه وبين المخابرات السوفيتية المعروفة باسم « كى - جى - بى » هو « جانيس بيرزينز » الذى كان يعمل مستشاراً عسكرياً للقوات المعادية للجنرال فرانكوا تحت اسم مستعار هو « الجنرال جويسيان » .

كانت رسائل « فيلبى » تمر إلى الرجل القادم من لاتفيا عن طريق وسيط فى البرتغال إلا أن الرجلين التقيا وصارا صديقين ، ولم يترنح التزام ولاء المستر « فيلبى » للشيوعية فى عام ١٩٢٩ حينما تم استدعاء « بيرزينز » إلى موسكو مع ضابطين آخرين ينتميان إلى لاتفيا وكانوا جميعهم يعملون لحساب الـ « كى - جى - بى » ليتم إعدامهم هناك بتهمة الخيانة ، وذلك فى إطار حركة التطهير الكبرى التى قام بها ستالين ضد خصومه .

إلا أن قتل هؤلاء جرد المخابرات الروسية « كى - جى - بى » من أكثر الضباط كفاءة وأعاق من عمليات القبض الجماعية التى قامت بها تلك الأجهزة عام ١٩٢٩ وبعد ذلك بخمسة أعوام ، حينما شرع « فيلبى » فى كتابة التقارير إلى موسكو حول العمليات الدائرة والمنفذة فى البحر البلطى تحت زعامة وتوجيهات المستر « كار » ، لم يستطع « كى - جى - بى » أن يستعيد أى شىء ولاحتى تواجداً اسمياً فى المنطقة .

وهكذا كانت تقارير المستر « كار » ذات اهتمام خاص لدى القسم التاسع داخل

أجهزة الاستخبارات البريطانية السرية وتلقى التشجيع نظير هذا العمل ، وفي مارس ١٩٤٥ ، تبادل « كار » الاتجاه الإيجابي الذي تبنته لنديدا أخيراً وبوضوح تجاه مسألة جمع الاستخبارات والمعلومات المخبرانية داخل الاتحاد السوفيتي .

ولأجل ضمان الاتصالات الأكفأ والأكثر إتقاناً ، تم تدريب رجلين من مشغلي الراديو واللاسلكي وهما : « ارثر ارينتس » و « ريهاردز زاندي » ، على أيدي المستر « تيفيرز » على أجهزة ومعدات قدمتها المخابرات البريطانية السرية ، وتم إرسالها بصفة فردية إلى « لاتفيا » ، وكانت مجموعة « جينتوس » توفر الحماية لكل منهما ، وهي التي كانت تحتوى بين أفرادها على عدد من الجنسيات اللاتفية الذين قدموا خدماتهم تحت إمرة وقيادة الألمان .

وكان هناك شخص يسمى « روبرت سيبرس » أحد الضباط في فرقة « جاجد كوماندو » الألمانية وكان في السنوات الثلاث الماضية يقوم بتشويهه وقتل أى لاتفى يعارض الاحتلال الألماني لبلاده .

أما الآخرون العاملون في جماعة « جينترس » والذين كانوا أعضاء في فرقة كوماندو خاصة يتزعمها الميجور « فيكتور أراجاس » هم الذين قضوا العامين الماضين كفريق إعدام في أوروبا الشرقية .

كانت هذه المجموعة في مأمن بصفة مؤقتة من الجيش الأحمر والـ « كى - جى - بى » ، وكانوا ينتظرون حينما اندلعت معركة « برلين » على بعد ألف كيلومتر ، فقد كانوا على قناعة بأن حلفاءهم الحقيقيين هي أجهزة المخابرات في السويد .

وفي الجنوب وعلى بعد ثلاثمائة ميل ، في ليتوانيا ، كانت معركة كاملة العناصر يدور رحاها بين الفلاحين والمحتلين الجدد للبلاد ، أما مسئولية استعادة ليتوانيا للرزوح تحت الحكم السوفيتي فقد عهد بها الزعيم ستالين شخصياً إلى « ميخائيل سوسلوف » ، الذى علا نجمه في اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتي الحاكم .

إلا أنه بحلول أواخر الصيف ، اعترف « سوسلوف » بأن الريف في الليل يقع تحت سيطرة ١٠٦٧ من جماعات الفلاحين وحوالى ٨٢٩ من جماعات قطاع الطرق ، وأن هذه البيانات تمثل حقيقة واقعة لا يمكن الجدل بشأنها .

وناشد « سوسلوف » موسكو ليرسل احد المتخصصين الذى يستطيع قمع الخسائر غير المقبولة التى كان الجيش الأحمر يتكبدها . أما رجل المهام الصعبة الذى

وصل في سبتمبر فهو الجنرال « سيرجي كروجلوف » نائب منطقة « بيريا » في كوميساريا الشئون الداخلية ، وكان قد حاز سمعة طيبة عكست الأعمال الشريرة التي نفذها إبان حملة التطهيرات الكبرى التي قام بها ستالين .

وانعشت عودة الجيش الأحمر ذكريات التجميعات القسرية ، والاستيلاء على الممتلكات والترحيلات الجماعية التي راح ضحيتها قبلاً حوالي عشرين بالمائة من السكان . ووجد الكثيرون العزاء لأنفسهم في أن الاحتلال الروسي سوف يكون احتلالاً مؤقتاً للمرة الثانية . إن العسكرية الألمانية - حسبما تكهنوا بذلك - سوف تطيح بهتلر وسوف يتم دعوته لتشكيل ائتلاف مع أمريكا وبريطانيا من أجل شن حرب صليبية ضد الشيوعية ، وطرده الجيش الأحمر من برلين ورده على أعقابها إلى داخل روسيا .

وتحدث المعادون للشيوعية في عدد من الاجتماعات السرية عن احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة لفرض ميثاق الأطلنطي على الزعيم السوفيتي ستالين . وبدأت الدبلوماسية السرية على أيدي رئيس وزراء بريطانيا انتوني ايدين عام ١٩٤٠ ، وعزز منها عام ١٩٤٤ تدخلات الرئيس الأمريكي روزفيلت في طهران .

ولم تكن مسألة سوء تفسير تحالفات زمن الحرب بين الدول الكبرى الثلاث - وقد كان هذا أمراً محتوماً ومسألة قدر - بالشيء الغريب أو غير المألوف ، بل كان متوقفاً . واقترح نفس السيناريو الكثيرون من كبار ضباط ألمانيا وساستها على ضباط استخبارات أجهزة مخابرات الحلفاء في السويد وسويسرا .

اما « آلان دالاس » ممثل مكتب الخدمات الاستراتيجية الأمريكية في بيرن ، فقد نقل المفكرة إلى واشنطن ، إلا ان أولئك المتعاطفين مع الشيوعيين تجاهلوا تصميم وعزم روزفيلت على البقاء على علاقات طيبة مع ستالين ، وأن يلتزم بالسياسة المتفق عليها والتي قضت بالاستسلام غير المشروط من جانب ألمانيا .

ثم قام المستر « كروجلوف » بالتحريض على إثارة أعمال العنف في ليتوانيا مما أدى إلى انقلاب عدة آلاف من الفلاحين وتخليهم عما كانوا محتشدين من أجله ، إلا أن الجمهرة الكبرى لم تتأثر وبلغت حوالي ٢٠,٠٠٠ التزموا بالقتال .

كما كان ثمة كثيرون يتعشمون في أن يفى الرئيس الأمريكي بتعهداته المعلنة . وتأججت نفس العواطف بين صفوف الشعوب اللاتفية التي كانت تتخذ من غابات

« كورلاند » مقرأ لها مؤقتاً ، على الرغم من أن « جينترس » الذى أصابه الضنى والألم وخشى من الأسر ، استقل زورقاً من زوارق الصيد وشد رحاله إلى السويد .

وسرعان ما انضم إليه الرجلان اللذان كانا يعملان مشغلين للراديو وهما « ارنيتس » و « زاندى » كما لحق بهم أيضاً المستر « سيريس » . ولما وضعت الحرب أوزارها ، وتم تعزيز السيطرة والنفوذ الروسى ، بدت أجهزة المخابرات البريطانية السرية وقد فقدت صلاتها وحلقات اتصالاتها داخل الاتحاد السوفيتى وذلك فى وقت كانت فيه الحاجة إلى هذه الصلات ماسة وضرورية للغاية .
